# نقش إسلامي يؤرخ لتجديد رخام الكعبة المشرفة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م بأمر من السلطان الرسولي الملك المظفر(١)

**د. مشلح بن كميخ المريخي**
قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

في ظل التطور المستمر الذي تشهده مناهج وأدوات البحث الآثاري والتاريخي أخذت النقوش والكتابات القديمة تحتل مكاناً بارزاً بين المصادر التي يعتمد عليها الآثاري والمؤرخ في استنباط الحقائق التاريخية. وقد اكتسبت الكتابات الإسلامية في هذا السياق أهمية كبيرة مع تواتر الأبحاث المنشورة عنها منذ قرن ونيف، ولا مراء في أن النقوش التأسيسية أو التجديدية تحتل مكانة متقدمة بين هذه الكتابات؛ نظراً لما تتمتع به من مصداقية يصعب الطعن في صحتها، حتى غدت بحق من المصادر الأصلية لكتابة التاريخ، فهذه النقوش لم تمتد إليها أيدي النساخ بالزيادة والنقصان أو التعديل والتبديل.

ونظراً لما تتمتع به النقوش التأسيسية من مصداقية في الكشف عن الحقائق التاريخية، ولا سيما في الفترات التي سجلت خلالها، فقد أصبح بالإمكان التعويل عليها في رصد وتبيان مدى صدق أقوال

---

(١) علق هذا اللوح الرخامي بعد الانتهاء من كتابته في جوف الكعبة المشرفة، وبقي في مكانه إلى أن جرت الترميمات التي تمت للكعبة في ثمانينيات القرن العشرين، وقد زودني بصورة النقش مشكورا زميلي الدكتور عدنان بن محمد فايز الحارثي، والشكر أيضا موصول لزميلَي الدكتور علي بن سالم النصيف، والأستاذ محمد بن يحيى الفيفي لما قدماه لي من معلومات تاريخية قيمة.

المؤرخين ودقتها، وأيضا في إضافة معلومات جديدة، أو في ترجيح رواية تاريخية على أخرى(٢). ويأتي هذا النقش الذي نتعرض له بالدراسة هنا ليثبت الحقائق التي سبقت الإشارة إليها، إذ إنه يتوافق مع ما أوردته المصادر التاريخية عن قيام السلطان الملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر بن رسول ببعض الأعمال التجديدية في الحرم المكي، والتي شملت تجديد رخام الكعبة المشرفة والمسجد الحرام.

ومما يزيد من أهمية هذا النقش أن المصادر التاريخية تحدثت عن قيام الملك المظفر بوضع حجر تأسيسي لأعماله في جوف الكعبة؛ ليكون بذلك أول ملك عربي يوضع اسمه داخل الكعبة المشرفة في حدود ما تذكره المصادر المعروفة لعلم الباحث، حيث يذكر المؤرخ ابن فهد في حوادث سنة ٦٨٠هـ ما يأتي: "فيها عمر رخام جوف الكعبة من قبل المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن، وهو أول ملك كتب اسمه في الكعبة"(٣). وعلى الرغم من أن إبراهيم رفعت قد أورد في كتابه "مرآة الحرمين" قراءة لهذا النقش(٤)، فإن هذه الدراسة تقدم قراءة تحليلية ووصفية لما ورد من كتابات في النقش موضوع البحث، مقرونة بصورة فوتوغرافية للنقش تنشر لأول مرة.

## الأوضاع السياسية المعاصرة لتسجيل النقش:

منذ أن قضى الله - سبحانه وتعالى - بإعمار البيت الحرام على الأرض من لدن آدم عليه السلام، مروراً بالعمارة التي ورد ذكرها في

---

(٢) الحداد، محمد حمزة، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية (المبحث الأول): دراسات أثارية (٢)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض (محرم ١٤٢١هـ/ إبريل ٢٠٠٠م)، ص ص ١٣-١٧.

(٣) باشا، إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين: الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، ج١، د. ن، د. ت، ص٢٦٦؛ ابن فهد، عمر، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م)، ص١١٣.

(٤) باشا، مرآة الحرمين، ج١، ص٢٦٦.

القرآن الكريم، ورفع القواعد على أيدي النبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلقد شهد البيت العتيق أعمال إعمار وإعادة ترميم عبر العصور نتيجة لما تعرض له من أضرار مختلفة، سواء بسبب العوامل الطبيعية، أو نتيجةً للظروف السياسية التي مرت بها مكة المكرمة، ومن أشهر هذه الترميمات - من بعد زمن الخليل إبراهيم- عمارة جرهم، وعمارة قريش قبيل البعثة النبوية الشريفة، وعمارة عبدالله بن الزبير، ثم عمارة الأمويين في عهد عبدالملك بن مروان، والتي أشرف عليها الحجاج بن يوسف الثقفي(٥)، وغير هذه العمارات المتوالية، فقد كان الخلفاء والسلاطين والملوك والحكام والولاة في عدد غير قليل من الأمصار الإسلامية يحرصون على أن يكون لهم شرف عمارة الكعبة وصيانتها وكسوتها، ويقدم كل منهم ما يستطيع تقديمه في هذا الشأن، ومن هؤلاء صاحب النقش التأسيسي موضوع هذه الدراسة.

لقد حرص الحكام الذين تعاقبوا على حكم الولايات الإسلامية المختلفة على أن يكون لهم نصيب من الاهتمام بعمارة الحرم المكي الشريف، سواء عن قصد ديني خالص من أي غرض دنيوي، أو لاكتساب ولاء وتأييد رعاياهم. وخلال الربع الأخير من القرن السابع الهجري، وهي الفترة التاريخية التي يعود إليها النقش موضوع هذه الدراسة، عاشت مكة حالة من عدم الاستقرار السياسي لسببين رئيسين:

**أولهما**: الخلافات التي لم تنقطع بين أطراف أسرة الأشراف، الذين آلت إليهم مقاليد الحكم في مكة المكرمة.

**وثانيهما**: التنافس الذي نشب - حينذاك - بين كل من سلاطين المماليك في مصر والشام، وبين حكام بني رسول في اليمن، وكانت

---

(٥) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١، تحقيق رشدي ملحس، ط٧، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٣٥٥؛ باشا، مرآة الحرمين، ج١، ص ص٢٦٩- ٢٧٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج١، ص ص١٤٤-١٦٠.

مكة المكرمة المحور الرئيسي لهذا التنافس، نظراً لمكانتها الدينية الكبيرة، وسلطانها الروحي في قلوب جميع المسلمين. وقد سعى كل من المماليك وحكام بني رسول للسيطرة على مكة وفرض نفوذهم عليها، إذ كان ذلك كفيلاً بتدعيم مكانة السلاطين ورفع منزلتهم ليس فقط بين رعاياهم بل ولدى الشعوب الإسلامية قاطبة(٦). ومن جهتهم سعى أمراء مكة من الأشراف إلى الإفادة من حالة التنافس تلك لتدعيم حكمهم، وعملوا جهدهم ألاَّ تقع مكة فريسة لأي من القوتين، المملوكية أو الرسولية، واستغل الأشراف تهافت كل قوة منهما لكسب ود أهل مكة، من أجل جلب المنافع لأسرتهم من خلال الحصول على المغانم والامتيازات التي كان المماليك وبنو رسول يبذلونها نظير الدعاء لهم في الحرم المكي، والاعتراف بسلطانهم داخل مكة ولو بشكل اسمي(٧). ولم يعدم الأمر في بعض الأحيان استعانة أطراف النزاع داخل أسرة الأشراف بأي من القطبين المتنافسين لحسم الصراع لصالحهم، وفي كل الأحوال كانت هناك فوائد محققة في مجال إعمار الحرم المكي الشريف، وصيانة مبانيه، وتزويدها بعناصر ومرافق معمارية جديدة من وقت لآخر.

**سعى أمراء مكة إلى الإفادة من حالة التنافس تلك لتدعيم حكمهم**

## النقش التجديدي:

يتألف النص في هذا النقش التجديدي المكتوب على لوح رخامي من مساحة مربعة يحيط بها شريط مستطيل من الكتابة، وتتوسط المربع دائرة تتماس في أجزاء من محيطها مع أضلاع المربع، وقد

---

(٦) السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ط٤، مطبوعات نادي مكة الثقافي، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ص٢٥٤- ٢٥٩؛ ص ص٣١٨ - ٣٢١.

(٧) باشا، مرآة الحرمين، ج١، ص ص٢٦٨-٢٧٥.

توزعت الكتابات فيما بين داخل الدائرة والمناطق شبه المثلثة المحصورة بين محيط الدائرة، وأركان المربع الخارجي، أما قراءة النص فهي على النحو الآتي:

## قراءة النقش:

أ - الإطار العلوي:

١ - بسم الله الرحمن الرحيم رب أوزعني

ب - الإطار الأيمن:

١ - أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى...

ج - الإطار الأيسر:

١.... ثمانين وستماية وصلى الله...

د - المتن:

١ - يارحمن يارحيم

٢ - أمر بتجديد رخام هذا البيت

٣ - المعظم العبد المفتقر إلى رحمة ربه

٤ - يوسف ابن (هكذا) عمر بن علي [بن] رسول اللهم أيده

٥ - بعزيز نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك

٦ - ياكريم ياغفار

## التعليق:

يستهل هذا النص بالبسملة، متبوعة بجزء من الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(٨)، وكلتاهما نفذتا بالإطارين العلوي والأيمن، ثم أتبعتا بمضمون النص التجديدي المنفذ

---

(٨) سورة النمل آية رقم ١٩.

في البلاطة الرئيسة، ويشير إلى ما قام به السلطان الملك المظفر الرسولي يوسف بن عمر بن علي بن رسول من تجديد لرخام الكعبة المشرفة، ثم ختم نص البلاطة الرئيسة بالدعاء لصاحب النقش بالتأييد والنصر، وطلب المغفرة له من الذنوب، ثم ثبت في الإطار الأيسر تاريخ تنفيذ هذه العمارة التي كانت في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م.

نفذ النقش - كما أسلفنا - على لوح رخامي مربع الشكل، على هيئة لوحة تجديدية، ومن الواضح أن لنوعية المادة المستخدمة في التجديدات أثرًا واضحًا في تنفيذ النقش على اللوح الرخامي، الذي يؤرخ لتنفيذ هذه التجديدات. وينقسم إلى إطار ومتن، بيد أن جزءاً من الإطار الأيمن، وجزءاً من الإطار الأيسر فقدا، بالإضافة الى أن الإطار السفلي بأكمله مفقود(٩). يبدأ النص الخطي في الإطار العلوي، وتتخلله حليات مستديرة (جامات) ذات زخارف هندسية، أما الإطار الأيمن فيتضمن بقية النص الوارد في الإطار العلوي، وتتخلله حليات مستديرة ذات زخارف هندسية شبيهة بتلك التي وردت في الإطار العلوي، بينما يتضمن الإطار الأيسر تاريخ تنفيذ النص، ويشتمل على العناصر الزخرفية نفسها، والمتمثلة في الحليات الدائرية (الجامات). أما المتن فهو على شكل مربع، يتوسطه شكل دائري، وقد شغلت أرضية المتن بزخارف نباتية مورقة (أرابيسك)، هي عبارة عن أفرع نباتية متموجة، تنبثق منها أنصاف مراوح نخيلية، اتسمت بدقة التنفيذ. هذا وقد نقش في المتن محتوى النص التجديدي، منفذا بخط الثلث المتقن المركب تركيبا ثنائيا وثلاثيا، وبأسلوب فني راق وجميل.

يتكون نص المتن من أربعة أسطر، شغلت فيه الزوايا الأربع المحصورة بين الشكل المربع والدائري بأربع كلمات منفردة ومصدرة بياء النداء كل كلمة منها تمثل اسمًا من أسماء الله الحسنى، بواقع اسم لكل

---

(٩) انظر اللوحة والشكل المرفقين.

زاوية، تبدأ من الزاوية العلوية اليمنى التي تضمنت (يا رحمن)، ثم الزاوية العلوية اليسرى المشتملة على (يا رحيم)، بينما نقش في الزاوية السفلية اليمنى (يا كريم)، وشغلت الزاوية الأخيرة بلفظ (يا غفَّار)، وجميعها نفذت على أرضية نباتية مورقة (أرابيسك)، تشابه مثيلتها المنفذة في أرضية النص الرئيس للمتن. لقد نوع النقاش في زخرفة أرضية النقش، حيث شغل أرضية المتن بالزخارف النباتية المورقة، وبنقط الإعجام في العديد من الكلمات، بينما شغل أرضية الإطارات - في غالب الأحيان - بنقط الإعجام، وعلامات الشكل، بالإضافة الى ورقة العنب الخماسية المنفذة فوق كلمة (بسم)، وكذلك نصف المروحة النخيلية المنفذة فوق كلمة (صلى).

## الخصائص الفنية:

نفذ نص النقش بخط الثلث المتقن المركب تركيباً ثنائياً وثلاثياً، وهو الخط الذي شاع استخدامه في النقوش التأسيسية على الآثار الإسلامية منذ مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وهو الخط الذي عادة ما يطلق عليه المختصون في الآثار والفنون الإسلامية مسمى"النسخ المملوكي"(١٠). واتصف النص بأسلوب خاص في تركيب الكلمات، حيث قدمت حروف بعض الكلمات على بعضها بعضاً، وكذلك تم تقديم كلمات على أخرى، وهذه جميعها من المظاهر الخطية التي اختص بها خط الثلث. واتسم النقش- بشكل عام - بمسحة جمالية راقية، وتناغمت عناصره الخطية والزخرفية بشكل رائع ومتقن، ولا غرو في ذلك، فهو من ناحية نقش رسمي، يؤرخ لما قام به السلطان المظفر من تجديدات للكعبة المشرفة، ومن ناحية أخرى نفذ في موضع له مكانته وقدسيته لدى عموم المسلمين.

---

(١٠) الزيلعي، أحمد بن عمر، "نقش تأسيسي من حارة الأغوات بالمدينة المنورة مؤرخ في سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦- ١٣٠٧م"، دراسات في الآثار: الكتاب الأول، مركز البحوث بكلية الآداب - جامعة الملك سعود، الرياض (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص٢٨٨.

## الألقاب الواردة في النقش:

ورد ضمن مضمون النص لقبان سبقا اسم صاحب النقش، هما: العبد، والفقير، وهذان اللقبان من ألقاب التواضع والتذلل(١١)، ومن المؤكد أن ما قصد بهما هنا هو أن صاحب النقش ما هو إلا عبد من عباد الله، مفتقر لرحمته سبحانه وتعالى.

ويحسن بنا قبل أن نتطرق لسيرة صاحب النقش أن نعرض بإيجاز لتاريخ دولة بني رسول التي كان صاحب النقش أحد أشهر حكامها وأبعدهم صيتاً، ينتسب بنو رسول إلى جدهم الأول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحي بن رستم، الذي اشتهر وعرف بلقب (رسول)، أي: رسول الخليفة. أما سبب شهرته بهذا اللقب فيعود - كما يذكر الخزرجي - إلى قربه من أحد خلفاء بني العباس، ومنزلته الكبيرة التي كان يحظى بها لديه، واختصاصه بنقل رسائله المهمة إلى الأمراء والملوك شفوياً خوفاً من اكتشافها وافتضاح أمرها(١٢). غير أن بعض الباحثين يشكك في مدى مصداقية هذه الرواية، ويرى أن محمد بن هارون المذكور كان مقرباً من الأيوبيين وليس من الخليفة العباسي، وأنهم هم الذين أطلقوا عليه هذا اللقب لأمانته ودقته في تنفيذ ما يوكل إليه من المهام الدبلوماسية(١٣).

---

(١١) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة (١٩٧٨م)، ص٤٢٢.

(١٢) الخزرجي، علي بن الحسن ( ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م): العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصور، صنعاء، نشر وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية اليمنية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص١٩٠؛ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط ٢، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، بيروت، دار الآداب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(١٣) عليان، محمد عبدالفتاح، "الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول في اليمن"، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٣٢؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، اليمن في ظل الإسلام، من فجره حتى قيام دولة بني رسول، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨١م، ص ٢٣٦؛ الفيفي، محمد بن يحيى، =

أما أصل بني رسول، فقد كان مثار جدل وخلاف بين المؤرخين قديماً وحديثاً، فبينما يرى البعض أنهم من الغساسنة العرب، ومن نسل جبلة بن الأيهم على وجه التحديد(١٤)، يرى آخرون أنهم من التركمان(١٥)، أو الأكراد(١٦). والذي يظهر أن الرأي الأخير هو الأقرب للصحة، شأنهم في ذلك شأن معظم القادة في الجيش الأيوبي، ولأنه لا توجد أدلة واضحة وصريحة يمكن الاستناد إليها والوثوق بها في إثبات انتسابهم إلى الغساسنة العرب، وأن انتسابهم ذلك لا يعدو كونه محاولة لصبغ حكمهم بالصبغة الشرعية على اعتبار أنهم ورثة ملوك اليمن القدامى(١٧).

---

= "الأحوال السياسية في الدولة الرسولية في عهد السلطان الناصر أحمد"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود ١٤٢٠هـ، ص٣؛ الونسي، حسين بن علي، اليمن الكبرى، ط٢، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ١/ ٢٧٨.

(١٤) الأشرف الرسولي، عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترتيني، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢م، ص ص٢٤- ٢٥؛ ابن عبدالمجيد اليماني، تاج الدين عبدالباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، محمد أحمد السنباني، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٣٩؛ الأفضل الرسولي، العباس بن علي بن داود (ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، القاهرة، دار الكتب المصرية، رقم ٣٥١ تاريخ، ق ٣٠ ب؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٩٠؛ العقود اللؤلؤية، ١/ ٣٦- ٣٧.

(١٥) ابن الفرات، محمد بن عبدالرحمن (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت، المطبعة الأمريكية، ١٩٣٩م، ٨/ ٢٠٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ٥/ ٦٠٦؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٤/ ٢٦٤- ٢٦٥.

(١٦) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي ( ١٩٥٥م)، ص٧٩.

(١٧) لمناقشة قضية نسب بني رسول وأصلهم، يمكن الرجوع إلى الدراسات الآتية: أحمد، محمد عبدالعال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدها، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية (١٩٨٠م)، ص ص٣٩- ٥٢؛ عسيري، محمد بن علي، "أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ( ١٤٠٦هـ)، ص ص ٤١٩-٤٣٠؛ عليان، الحياة السياسية، ص ص٣٢- ٣٥؛ الفيفي، الأحوال السياسية، ص ص٣- ٥.

ومهما يكن من أمر هذا النسب، فمن الثابت أن علي بن رسول وأبناءه الأربعة: بدر الدين الحسن، فخر الدين أبا بكر، شرف الدين موسى، ونور الدين عمر كانوا في خدمة الأيوبيين، وأن وصولهم إلى اليمن ضمن الحملة الأيوبية التي بعثها السلطان صلاح الدين بقيادة شقيقه طغتكين بن أيوب في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م(١٨)، قد أحدث تحولاً جذرياً في حياة أفراد تلك الأسرة ومستقبلها، حيث أسند إليهم الأيوبيون العديد من المناصب الإدارية والعسكرية، مما مكنهم من البروز التدريجي على الساحة اليمنية، وأن يؤدوا أدواراً مهمة في تاريخ اليمن خلال الفترة الأيوبية، حتى واتتهم الفرصة للاستقلال باليمن عن أولياء نعمتهم في حوالي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م.

لقد بدأ ظهور بني رسول على مسرح الأحداث في اليمن منذ عهد الملك العزيز طغتكين بن أيوب (٥٧٩- ٥٩٣هـ/ ١١٨٣- ١١٩٣م)، حيث تشير الروايات صراحة إلى استعماله للأمير علي بن رسول (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) مرتين، مرة على إقليم وصاب(١٩) في سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م(٢٠)، ومرة على مدينة حيس(٢١) وأعمالها(٢٢). ثم استمر تدرجه وأبناؤه في

---

(١٨) الخزرجي، العقد الفاخر في طبقات أكابر اليمن، مخطوط، صنعاء، مكتبة جامع الغربية، ف رقم ٥٤، ٢/ ٣٩؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٩١؛ ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط٢، بيروت، دار بساط (١٤٠٩هـ)، ص٣٠٠.

(١٩) وصاب: ناحية كبيرة في الجنوب الغربي من صنعاء. انظر: الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، ط ٢، صنعاء، دار الحكمة اليمانية (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ٢/ ٧٦٧.

(٢٠) الوصابي، عبدالرحمن بن محمد الحبيشي (ت ٧٨٢هـ)، تاريخ وصاب، تحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمن (١٩٧٩م)، ص١١٠.

(٢١) حيس: إحدى مدن تهامة اليمن المشهورة، تقع جنوب مدينة زبيد بحوالي ٣٥ كم. انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، ١/ ٣٠١.

(٢٢) الأفضل الرسولي، عباس بن المجاهد علي (ت ٧٧٨هـ)، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، مخطوط مصور، معهد المخطوطات العربية، رقم ٣٥١ تاريخ، ق ٣٠ ب؛ الخزرجي، العقد الفاخر، ٢/٣٩؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٠٠.

مختلف المناصب الإدارية والعسكرية لدى الأيوبيين حتى بلغوا أعلى المراكز في عهد الملك المسعود (٦١٢- ٦٢٦هـ/ ١٢١٥- ١٢٢٩م)، عندما عينهم نواباً له على اليمن، حيث قرر هذا الملك فجأة في سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م مغادرة اليمن إلى مصر لأسباب يطول شرحها وليس هذا مقامها، فاستقر رأيه على استخلاف الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول في حكم اليمن، وشاء الله أن يتوفى الملك المسعود في مكة المكرمة في شهر جمادى الأولى من السنة ذاتها، وهو في طريقه إلى مصر(٢٣)، فكانت الفرصة مواتية للأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول للعمل على الاستقلال باليمن.

وبالفعل، فما أن بلغته وفاة الملك المسعود حتى عقد العزم على الاستقلال بالبلاد(٢٤)، إلا أنه آثر التريث في إعلان ذلك، وعمل على إظهار الولاء للملك الكامل الأيوبي في البداية، وبعث له يعزيه في وفاة ابنه، ويظهر له الولاء وحسن النية، فوثق به الملك الكامل وأقره على عمله نائباً عنه في اليمن(٢٥). ومما لا شك فيه أن تجديد الملك الكامل الثقة في الأمير نور الدين كان فرصة مناسبة للأخير؛ ليعمل تدريجياً على الاستقلال بالبلاد، مستفيداً من الظروف السياسية الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الأيوبية داخلياً وخارجياً، ولا سيما

---

(٢٣) ابن حاتم، محمد بن حاتم اليامي، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث، لندن، لوزاك، ١٩٧٤م، ص ص١٩٤- ١٩٥؛ الحمزي، إدريس بن علي (ت ٧١٤هـ)، كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، الجزء الخاص بتاريخ اليمن، تحقيق عبدالمحسن مدعج المدعج، الكويت، مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٢م، ص٩٥؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ١٣٩؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ص١٨٩، ١٩٢؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٤٧، ٥١؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ)، العقد الثمين، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م)، ٧/ ٤٩٤؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٧٩.

(٢٤) الجندي، محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط ٢، صنعاء، مكتبة الإرشاد (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ٢/٥٤١؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٩٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٥٢.

(٢٥) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١/ ٢٣٧.

الخطر الصليبي الداهم، والمنازعات الأسرية التي كانت على أشدها في تلك الفترة. فأخذ يولي أتباعه، ومن يثق بهم على المدن والحصون اليمنية المختلفة، ويعزل ويبعد من يخشى مقاومته أو مخالفته من النواب الأيوبيين(٢٦)، ولم يكتف بذلك، بل أخذ يوجه حملاته إلى مختلف أقاليم اليمن من أجل السيطرة عليها، وإقرار الأمن فيها(٢٧).

وبعد أن تمكن من احتواء القوى المناهضة له، وآنس من نفسه القوة أعلن استقلاله بحكم اليمن، وخلعه لطاعة بني أيوب، وتلقب بالملك (المنصور)، واتخذ من مدينة تعز عاصمة لدولته، وكان ذلك في سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م(٢٨). ثم عمل بعد ذلك على استكمال مظاهر استقلاله، فأمر في سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م بضرب السكة باسمه، وإقامة الخطبة له في مختلف أنحاء اليمن(٢٩). ولصبغ حكمه بالصبغة الشرعية كتب في سنة ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣- ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٢م) يخبره باستقلاله باليمن، ويعلن ولاءه له، ويلتمس منه أن يبعث له تقليداً وتشريفاً بالسلطة والنيابة عنه، وذلك جرياً على عادة الأمراء والسلاطين التابعين لدار الخلافة، فبعث له الخليفة بذلك في سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م(٣٠).

---

(٢٦) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٢٠١؛ الجندي، السلوك، ٢/٥٤١؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٩٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٥٢.

(٢٧) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: أحمد، بنو رسول، ص٩١ وما بعدها؛ عليان، الحياة السياسية، ص٤٦ وما بعدها؛ الفيفي، الأحوال السياسية، ص ص١٢- ١٤.

(٢٨) المقريزي، السلوك، ١/٢٤٢.

(٢٩) الجندي، السلوك، ٢/٥٤١؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٩٥؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٥٦.

(٣٠) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ص٢٠٦، ٢٠٧؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص١٩٥؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٥٨- ٥٩؛ الفاسي، العقد الثمين، ٦/٣٤٢- ٣٤٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٠٣.

وهكذا بذل السلطان المنصور جهوداً كبيرة في سبيل إرساء دولته الناشئة وتثبيت دعائمها، حتى استطاع أن يوحد معظم البلاد اليمنية تحت حكمه، وظل في الحكم حتى قتل على يد بعض مماليكه في قصره بمدينة الجند(٣١) في ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م(٣٢)، فخلفه ابنه الأكبر السلطان المظفر يوسف الذي سوف يكون موضوع الصفحات الآتية من هذا البحث.

## ترجمة لصاحب النقش:

### نسبه ومولده:

هو أبو المنصور المظفر يوسف بن السلطان المنصور عمر بن علي بن رسول، ولد بمكة المكرمة في سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م، وقيل: سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، وذلك أثناء ولاية والده لها من قبل الملك المسعود الأيوبي، ولهذا كان يعرف بالمكي نسبة إلى هذه المدينة المباركة(٣٣)، وتوفي في مدينة تعز في يوم الثلاثاء ١٣ رمضان سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً(٣٤).

### حياته العلمية:

نشأ المظفر في كنف والده الذي حرص على تنشئته نشأة علمية دينية سليمة، وتهيئة المؤدبين والمدرسين الأكفاء له، فتشرب حب العلم والعلماء منذ الصغر، ونشأ على ذلك، مما كان له بالغ الأثر في حياته

---

(٣١) الجند: مدينة مشهورة تقع شرق مدينة تعز بحوالي ٢٥ كم. انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن،١/١٤٥.

(٣٢) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٢٣٤؛ الحمزي، كنز الأخيار، ص٩٨؛ الجندي، السلوك، ٢/٥٤٤؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص١٤٣؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٢٠٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٨١.

(٣٣) الخزرجي، العقد الفاخر، ٢/٤١٠؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ص١٩٤، ١٩٥؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٤١.

(٣٤) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٥٦٧؛ الحمزي، كنز الأخيار، ص ص١٢٠ - ١٢١؛ الجندي، السلوك، ٢/٥٥٣؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص١٧١.

العلمية فيما بعد. اشتغل بطلب العلم على كبار علماء وفقهاء عصره، لا في اليمن فحسب، بل وعلى علماء الحرم المكي كذلك، واقتنى نفائس الكتب، وسعى في سماع أسانيد رواية الأحاديث النبوية، فقد ذكر الفاسي(٣٥) أنه سمع الحديث بمكة. وقد وصفه الخزرجي بقوله: "كان مشتغلاً بالعلم، أخذ من كل فن بنصيب"(٣٦).

أما شيوخه فهم كثر، وقد جمع الإمام محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) ما يزيد على خمسين شيخاً من شيوخه في كتاب سماه "المشيخة المظفرية الكبرى"(٣٧). ولعل من أبرز أولئك الشيوخ الذين صرحت المصادر المتاحة بتتلمذه أو سماعه عليهم، ما يأتي:

١ - الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي (ت ٦٤٠هـ/ ١٢٤٣م)، أخذ عنه في الفقه الشافعي(٣٨).

٢ - الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، سمع عليه صحيح البخاري(٣٩).

٣ - الفقيه عبدالله بن يحيى الهمداني (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، سمع عليه كتاب البيان في الفقه الشافعي، للفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م(٤٠).

٤ - الفقيه يحيى بن إبراهيم بن العمك (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م)، درس عليه علوم النحو واللغة(٤١).

---

(٣٥) الفاسي، العقد الثمين، ٤٨٩/٧.

(٣٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٢٣٣/١.

(٣٧) الوصابي، تاريخ وصاب، ص٧٧.

(٣٨) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٢٧٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٢٣٣/١.

(٣٩) الجندي، السلوك، ٣٧/٢؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١٧٦/١.

(٤٠) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١٥٦/١.

(٤١) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٢٧٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٢٣٣/١.

٥ - الفقيه أحمد بن علي السردي (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، درس عليه شيئاً من علم المنطق(٤٢).

٦ - الفقيه محمد بن إبراهيم الفشلي (ق ٧ هـ)، أخذ عنه بعض علوم الحديث سماعاً(٤٣).

هذا بالنسبة لشيوخه من داخل اليمن، أما شيوخه من خارج اليمن فجلهم من علماء الحرم المكي، ومن أبرزهم:

١ - القاضي إسحاق بن أبي بكر بن محمد الطبري (ت ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م)، سمع عليه شيئاً من العلم(٤٤).

٢ - الحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري (ت ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، محدث الحرم المكي في عهده، وقد وفد إلى اليمن بدعوة من السلطان المظفر، فسمع عليه الأخير أمهات كتب الحديث، كما أخذ عنه معظم مصنفاته، ومنها كتاب: الأحكام الكبرى(٤٥).

ومن هنا يتضح أن السلطان المظفر إلى جانب اشتغاله بالسياسة والحكم، كان عالماً فقيهاً متقناً لكثير من العلوم الدينية وغير الدينية، يقول فيه كذلك شيخه الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي: "كان المظفر يكتب في كل يوم آية من كتاب الله تعالى، وتفسيرها، فيحفظها ويحفظ تفسيرها عن ظهر قلب غيباً"(٤٦). ويقول الفقيه جمال الدين أحمد بن عبدالله الريمي فيه: "طالعت أمهات كتب الحديث من كتب مولانا الخليفة فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده

---

(٤٢) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٢٧٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٤٣) الجندي، السلوك، ٢/ ٣٢؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٢٧٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٤٤) الفاسي، العقد الثمين، ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٤٥) الجندي، السلوك، ٢/ ٧٩؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٤٦) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص ٢٨٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٤.

حتى أن من رآها يقول لم يكن للسلطان شغل غيرها طول عمره مع كثرة اشتغاله بالعلم في فنون شتى واشتغاله بأمور المملكة"(٤٧). ويروي الخزرجي(٤٨) أنه طالع جزءاً من تفسير محمد بن عمر المشهور بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) الموجود في مكتبة السلطان المظفر فوجد مكتوباً بخط السلطان ما يأتي: "طالعت هذا التفسير من أوله إلى آخره مطالعة محققة، ورأيت فيه نقصاناً كثيراً، وجاءني من الديار المصرية أربع نسخ من قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز فرأيت فيه النقصان على حاله فلم أقنع بذلك بل اعتقدت أنه من الناسخ، فأرسلت رسولاً قاصداً إلى خراسان إلى مدينة هراة فجاءني بنسخة المصنف، وقد قرأت عليه؛ فرأيت النقصان على حاله وتبييضاً كثيراً". كما يروي الوصابي(٤٩) أن السلطان المظفر كان يقول لابنه السلطان الأشرف عمر: "لا بارك الله في وال في رعيته من هو أعلم منه".

لم يكن السلطان المظفر متضلعاً بالعلوم الدينية فحسب، بل تعداها إلى علوم أخرى كالطب والمنطق وعلوم اللغة العربية وغيرها، يروي الخزرجي(٥٠) أنه لما استولى السلطان المظفر على ظفار الحبوضي - تقع إلى الشرق من حضرموت وتتبع سلطنة عمان حالياً - بعث برسالة إلى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس يطلب منه طبيباً لمدينة ظفار هذه، لأنها كانت وبيئة، وكتب في رسالته تلك: "ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا، فإنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً...".

---

(٤٧) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٢٣٤/١.

(٤٨) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٢٣٤/١.

(٤٩) الوصابي، تاريخ وصاب، ص٧٧.

(٥٠) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٢٣٤/١.

وقد صنف السلطان المظفر العديد من الكتب، من أهمها ما يأتي:

١ - الأربعين في الحديث: ويضم عشرين حديثاً في الترغيب، وعشرين حديثاً في الترهيب.

٢ - تيسير المطالب في تسيير الكواكب.

٣ - درج السياسة في علم الفراسة، وما يدل على الخيل من ملاحة وقباحة.

٤ - المعتمد في الأدوية المفردة.

٥ - اللمعة الكافية في الأدوية الشافية.

٦ - المخترع في فنون من الصنع - وقد نشر بتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية (مؤسسة الشراع، الكويت، ١٩٨٩م).

٧ - البيان في كشف علم الطب للعيان.

٨ - العقد النفيس في مفاكهة الجليس(٥١).

### فترة حكمه:

كان الوضع في الدولة الرسولية بعد مقتل السلطان المنصور ينذر بالانقسام والتفكك، ومن ثم نهاية الدولة في مرحلة مبكرة من حياتها، وذلك بسبب بعض الإجراءات غير الموفقة التي كان قد اتخذها قبيل مقتله والخاصة بمن يخلفه في الحكم، حيث عمد إلى إبعاد ابنه الأكبر المظفر عن ولاية العهد، وعين مكانه أخاه الأصغر غير الشقيق المفضل، واستحلف له العسكر استجابة لرغبة أم المفضل - بنت جوزة - وقام بإبعاد المظفر عن مركز الدولة وعاصمتها بأن أقطعه مدينة المهجم النائية في

**كان الوضع في الدولة الرسولية بعد مقتل السلطان المنصور ينذر بالانقسام والتفكك**

---

(٥١) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٢٣٣- ٢٣٤؛ الحبشي، عبدالله بن محمد، حكام اليمن المؤلفون المجتهدون، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ص١١٠- ١١٤.

تهامة(٥٢)، مما تسبب في غضب الأخير وتفكيره - كما يقول الخزرجي - في المسير إلى بغداد؛ لبث شكواه إلى الخليفة العباسي، ولم يثنه عن ذلك إلا وصول الأخبار إليه بمقتل والده(٥٣).

في ظل هذه الظروف لم يكن مستغرباً أن ينشب الصراع بين الإخوة، وليس بينهم فحسب، بل بينهم وبين بعض أبناء عمومتهم أيضاً، وبخاصة فخر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول، وكان مقطعاً في مدينة فشال(٥٤)، فلما سمع بمقتل عمه زحف على مدينة زبيد، وحاول الاستيلاء عليها، هو وشقيقه أسد الدين محمد، وكان والياً على صنعاء وأعمالها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان هذا الوضع المضطرب بالنسبة للدولة الرسولية مشجعاً للمنافسين الآخرين للرسوليين في اليمن، وهم الأئمة الزيديون في أقصى الشمال اليمني، للعمل على مهاجمة مناطق النفوذ الرسولية(٥٥)، وهو الأمر الذي كان يتكرر كلما كانت الظروف مواتية لذلك، كما هي الحال بالنسبة لهذه الفترة.

ودون أن ندخل في تفاصيل الصراع الذي دار بين المظفر وإخوته، فإن ما يهمنا هنا أن المظفر قد استطاع حسم الأمور لصالحه في آخر الأمر، وأن يحكم قبضته على السلطة؛ فقد قام فور علمه بمقتل والده، وقيام بعض مماليكه بنقل جثمانه إلى تعز مكان إقامة ولي عهده وأسرته، حيث تم دفنه، بجمع ما استطاع من العسكر ورجال القبائل، وخرج بهم من المهجم قاصداً مدينة زبيد، أهم مدن اليمن التهامية، والعاصمة الثانية للدولة، فتمكن من الاستيلاء عليها، وإلقاء

---

(٥٢) المهجم: مدينة خربة تقع على وادي سردد في تهامة اليمن. الحجري، مجموع بلدان اليمن، ٧٢٥/٢.

(٥٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٨٧/١.

(٥٤) فشال: بلدة خربة شمال مدينة زبيد. انظر: الحجري، مجموع بلدان اليمن، ٦٣٤/٢.

(٥٥) الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٢١١؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ٨٨/١؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣١٥.

القبض على ابن عمه فخر الدين أبي بكر في أواخر السنة؛ أي: سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م(٥٦). وخلال السنة التالية أحكم المظفر قبضته على السلطة بشكل كامل، حيث استطاع خلال الأربعة أشهر الأولى منها الاستيلاء على بقية بلدان تهامة اليمن، بالإضافة إلى ميناء عدن المهم، ولحج، ويافع وغيرها من المناطق اليمنية الجنوبية؛ مما مكنه بعد ذلك من توجيه نشاطه إلى مدينة تعز، عاصمة الدولة، ومقر إقامة المفضل وإخوته ووالدتهم. ولما لم تكن الظروف وموازين القوى في صالحهم، بالإضافة إلى عدم وجود المؤيدين لهم؛ نظراً لاقتناع العسكر والناس بصفة عامة بضعفهم، وأحقية المظفر بالحكم بصفته الابن الأكبر لوالده، ولما يتمتع به من إمكانيات عسكرية وسياسية، فقد تركوا العاصمة، ولجؤوا إلى حصن الدملوة المنيع(٥٧)، فكانت الفرصة سانحة للمظفر لدخول المدينة دون مقاومة تذكر في شهر جمادى الأولى من السنة نفسها(٥٨). وبذلك يكون المظفر قد استطاع أن يحتوي منافسيه من إخوته، وأن يعيد توحيد معظم أقاليم الدولة الرسولية من جديد، ثم فكر عندئذ في إضفاء الشرعية على سلطته أمام الناس، وذلك عن طريق اعتراف الخليفة العباسي به، فبعث إليه رسولاً يخبره بما حصل في اليمن، ويعلن تمسكه بما كان عليه والده من الولاء والطاعة للخلافة، فما كان من الخليفة - المستعصم - إلا أن اعترف به، وأقره نائباً عنه في اليمن، وبعث له بالخلع والتشريفات التي جرت العادة أن ترسل في مثل تلك المناسبات، وقرر

---

(٥٦) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٢٥٠ وما بعدها؛ الحمزي، كنز الأخيار، ص ص١٠٠- ١٠١؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص١٤٥؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٨٨- ٩٠.

(٥٧) الدملوة: يقع جنوب غرب مدينة الجند بحوالي ٣٠ كم. الحجري، مجموع بلدان اليمن، ١/٢٣٦.

(٥٨) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٢٦٥ وما بعدها؛ الحمزي، كنز الأخيار، ص ص١٠١- ١٠٢؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ص١٤٦- ١٤٨؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية،١/٩٢.

له عطية سنوية تقدر بأربعين ألف دينار، وهو مبلغ يوازي ما كان يتقاضاه سلاطين الدولة الأيوبية الموالين للخلافة، وحثه على استئصال الأئمة الزيديين في شمال اليمن(٥٩).

وكما استطاع السلطان المظفر أن يحتوي خطر أخوته تمكن - أيضاً - بحنكته السياسية من احتواء خطر أبناء عمه، لا سيما أسد الدين محمد، والي والده على صنعاء، الذي أصبح يشكل جبهة واحدة مع الأئمة الزيديين ضده، فوجه جيوشه صوبهما حيث استطاع الاستيلاء على صنعاء، ومعظم مناطق النفوذ الزيدية الواقعة إلى الشمال منها حتى وصل إلى مدينة صعدة معقل الزيدية الرئيس في اليمن(٦٠).

وفي عهده بسطت الدولة الرسولية نفوذها على إقليم حضرموت، وبعض المناطق الواقعة في جنوب سلطنة عمان في الوقت الحاضر، مثل: ظفار الحبوضي وغيرها، على أثر حملته المشهورة على تلك المناطق في سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م(٦١).

وخلاصة القول: إن السلطان المظفر قد استطاع أن يعيد للدولة الرسولية وحدتها وأمنها واستقرارها، وأن يبسط نفوذه على بلاد اليمن كافة بشمالها وجنوبها، وهي من الحالات القليلة في التاريخ اليمني التي توحدت فيها المنطقة بشكل كامل على مدى العصور التاريخية، ولذلك فقد لقبه العديد من المؤرخين اليمنيين بتبع الأصغر(٦٢). ويعد

---

(٥٩) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٩٦- ٩٧؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣١٨.

(٦٠) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٢٥٨ وما بعدها؛ الحمزي، كنز الأخيار، ص ١٠٢ وما بعدها؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص١٤٦ وما بعدها؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٩٧ وما بعدها.

(٦١) ابن حاتم، السمط الغالي، ص٥٠٥ وما بعدها؛ الحمزي، كنز الأخيار، ص١١٢؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص١٦٠؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/١٨١- ١٨٥.

(٦٢) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ١٦٠؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/٢٣٢. ولمزيد من المعلومات عن عهد السلطان المظفر بشكل عام يمكن الرجوع إلى الدراسات الآتية: أحمد، بنو رسول، ص١١٧ وما بعدها؛ عليان، الحياة السياسية، ص ص٥٣- ٥٦؛ الفيفي، الأحوال السياسية، ص ص١٧- ٢١.

عهده أزهى أيام الدولة الرسولية في اليمن على الإطلاق، حيث شهدت البلاد خلاله ازدهاراً شاملاً في شتى مناحي الحياة، ومنها بالطبع الناحية الحضارية.

## أعمال السلطان المظفر الحضارية:

يمثل عصر الدولة الرسولية العصر الذهبي للحضارة الإسلامية في اليمن، لاسيما في حقل العمارة والبنيان، وذلك لما حفل به من تشييد للمساجد، والمدارس، والقصور، والدور، والحصون، والأسوار، والخنادق في مختلف نواحي البلاد اليمنية وأقاليمها(٦٣). وتعد فترة السلطان المظفر من أخصب فترات سلاطين بني رسول وأغناها من حيث المنشآت المعمارية الحضارية، بسبب طول فترة حكمه، مقارنة بغيره، واستقرار الأوضاع في عهده، فضلاً عن القوة الاقتصادية للدولة، واتجه السلطان نفسه ورجال دولته إلى تشييد مثل هذه المنشآت، رغبة في الأجر والثواب، وتخليداً لذكرهم بعد وفاتهم، وغير ذلك. وسوف يتم الاقتصار هنا على المنشآت التي أقامها السلطان المظفر فقط، نظراً لكثرة المنشآت التي أقامها أفراد أسرته، ورجال دولته، وأعيان المجتمع والموسرين، تلك الأعمال التي لا يتسع المجال لذكرها هنا(٦٤).

---

(٦٣) لمزيد من المعلومات حول المنشآت المعمارية الرسولية يمكن الرجوع إلى الدراسات المتخصصة الآتية: الأكوع، محمد بن علي، المدارس الإسلامية في اليمن، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م؛ الراشد، عبدالله بن إبراهيم، "المنشآت المعمارية الرسولية في اليمن، دراسة تاريخية حضارية"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ - كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م؛ السنيدي، عبدالعزيز بن راشد، "المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، نشرت هذه الرسالة مؤخراً في كتاب.

Sadek , noha: Patronage and Architecture in Rasulid Yemen , 626- 858 A.H. 1229-1454 A. D. , PHD ,UNIVERSITY OF TORONTO , CANADA , 1990.

(٦٤) لمزيد من المعلومات عن هذه المنشآت يمكن الرجوع إلى الدراسات الآتية: الراشد، المنشآت المعمارية، أماكن متفرقة؛ السنيدي، المدارس، أماكن متفرقة.

## المنشآت الدينية: المساجد، المدارس، الخانقاوات

١ - جامع المظفر بمدينة تعز(٦٥).

٢ - الجامع المظفري بمدينة المهجم(٦٦).

٣ - الجامع الكبير بمدينة حيس(٦٧).

٤ - جامع واسط المحالب(٦٨).

٥ - المسجد الجديد بمدينة تعز، وكان لا يزال قائمًا حتى أوائل القرن التاسع الهجري(٦٩).

٦ - مسجد المنسكية - من قرى وادي سهام في تهامة - وكان يضم مدرسة أيضاً(٧٠).

٧ - جامع النوري(٧١).

٨ - المدرسة المظفرية بمدينة تعز(٧٢).

٩ - المدرسة المظفرية بمدينة ظفار الحبوضي(٧٣).

١٠ - خانقاه بمدينة حيس(٧٤).

---

(٦٥) انظر وصف هذا الجامع في: الراشد، المنشآت المعمارية، ص١٣٤ وما بعدها؛ Sadek , OP. Cit. PP.176-192.

(٦٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٦٧) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣. وانظر وصف هذا الجامع في: الحداد، عبدالله عبدالسلام، مدينة حيس اليمنية، تاريخها وآثارها الدينية، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١٠٨، ص١١٨ وما بعدها.

(٦٨) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٧ ب؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٦٩) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٧٠) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٧١) النوري: قرية تقع بين مدينة حيس وزبيد، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها السلطان المنصور نورالدين علي بن عمر بن رسول. الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٨٢- ٨٣.

(٧٢) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٧ ب؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٧٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٧٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

كما تم في عهده تجديد كل من المساجد الآتية: الجامع الكبير بمدينة صنعاء، الجامع الكبير بمدينة ذمار، الجامع الكبير بمدينة صعدة(٧٥).

ولم تقتصر المنشآت الدينية للسلطان المظفر على اليمن فحسب، بل تسجل له المصادر بعض تلك المنشآت التي أقامها، أو صرف على إقامتها في خارج اليمن، ومن أهمها:

١ - جامع في الصين، بناه للمسلمين هناك، وأقام فيه منبراً، وكان يخطب له عليه(٧٦).

٢ - جامع في جزيرة هرمز(٧٧).

٣ - مسجد الشافعي بمدينة جدة(٧٨).

### المنشآت المدنية: الدور والقصور

١ - القصر المظفري بناحية وصاب(٧٩).

٢ - قصر ثلا(٨٠).

٣ - دار الضيف بمدينة تعز(٨١).

٤ - دار الضيف بمدينة حيس(٨٢).

ومما حفظه التاريخ للسلطان المظفر - بالإضافة إلى ما سبق ذكره - عنايته بالحرمين الشريفين، وقد صادف عهده سقوط الخلافة العباسية في بغداد، وكذلك سقوط الدولة الأيوبية في مصر والشام،

---

(٧٥) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٨.

(٧٦) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٨.

(٧٧) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٨.

(٧٨) الحداد، مدينة حيس، ص ١١٥.

(٧٩) الوصابي، تاريخ وصاب، ص١١٧.

(٨٠) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ص٤٠٤، ٤٠٥. وثلا: مدينة أثرية تقع في شمال غرب مدينة صنعاء بحوالي ٣٤ كم.

(٨١) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٨؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣.

(٨٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ٢٣٣؛ الحداد، مدينة حيس، ص١١٦.

وانشغال المماليك بالصراعات الداخلية، وبمواجهة التتار والصليبيين خلال السنوات الأولى من حكمهم، فلم تكن هناك قوة إسلامية تقوم بالعناية بالمقدسات الإسلامية، فكان أن قامت الدولة الرسولية في اليمن، ممثلة في السلطان المظفر، بذلك خير قيام. ومن أهم ما قام به السلطان المظفر في هذا المجال ما يأتي:

١ – أمره في سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م بعمارة الحرم المكي، وأقام منارة وجوامك خدامه(٨٣).

٢ – قيامه بكسوة الكعبة المشرفة بعد سقوط الخلافة العباسية(٨٤).

٣ – قيامه بتحلية باب الكعبة المشرفة بالذهب والفضة في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م(٨٥).

٤ – قيامه في سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م بإجراء العديد من الإصلاحات في داخل الكعبة المشرفة وخارجها، وكسوة جدرانها وأرضيتها بالرخام(٨٦)، ويتفق ما ذكر هنا في هذا الشأن من معلومات مستقاة من المصادر مع ما وثق في النقش، موضوع هذه الدراسة.

٥ – قيامه بإرسال صناع وآلة ومنبر رمانتاه من الصندل إلى المدينة المنورة عقب الحريق الذي شب في الحرم النبوي الشريف في سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وقد نصب هذا المنبر موضع منبر النبي ﷺ، وبقي سنين عدة يخطب له عليه(٨٧).

٦ – قيامه بتجديد مسجد عبدالله بن عباس في الطائف(٨٨).

---

(٨٣) ورد في كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي،ج١، دار صادر - بيروت (نسخة مصورة عن مطبعة دار الهلال)، ص١٢٨ الآتي: "وفي هذه السنة تولى السلطان أمر الحرم الشريف وعمارته. وأقام منارة وخدمة وجوامك خدامه".

(٨٤) الفاسي، شفاء الغرام، ١/ ٢٤٤.

(٨٥) ابن حاتم، السمط الغالي، ص ص٣٧٧، ٣٧٨؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ١/ ١٥٢؛ الفاسي، شفاء الغرام، ١/ ٢٣١.

(٨٦) الفاسي، شفاء الغرام، ١/ ٢٠٨ – ٢٠٩.

(٨٧) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٨.

(٨٨) الأفضل الرسولي، العطايا السنية، ق ٥٨.

نخلص مما سبق إلى أهمية الكتابات الإسلامية على وجه العموم، والتأسيسية أو التجديدية منها على وجه الخصوص، ودورها البارز في الكشف عن معلومات تاريخية جديدة، أو تصحيح، أو ترجيح رواية تاريخية على أخرى، وذلك لما تتمتع به من صدقية ومعاصرة للفترات التاريخية التي سجلت خلالها.

كما يتضح مما سبق أهمية هذا اللوح التجديدي، حيث يعد وثيقة تاريخية وأثرية ذات أهمية خاصة، فهو يوثق ويؤرخ لما قام به السلطان المظفر يوسف بن عمر بن رسول من تجديدات لرخام الكعبة المشرفة في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م. كما نخلص مما سبق إلى أن هذه اللوحة التجديدية يمكن أن يضاف إلى قيمتها التاريخية والأثرية أهمية أخرى، تتمثل في قيمتها الخطية، ونقلها لصورة ورسم الحرف بخط الثلث إبان تلك الحقبة المهمة من تاريخ مكة المكرمة.

# الملاحق

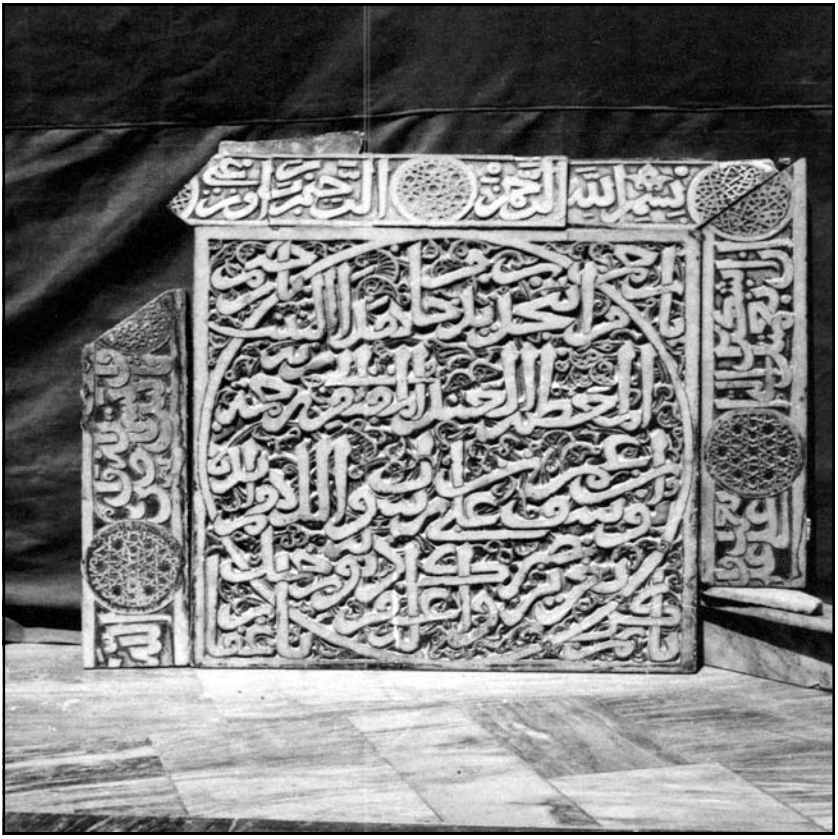
بسم الله الرحمن الرحيم

صورة النقش

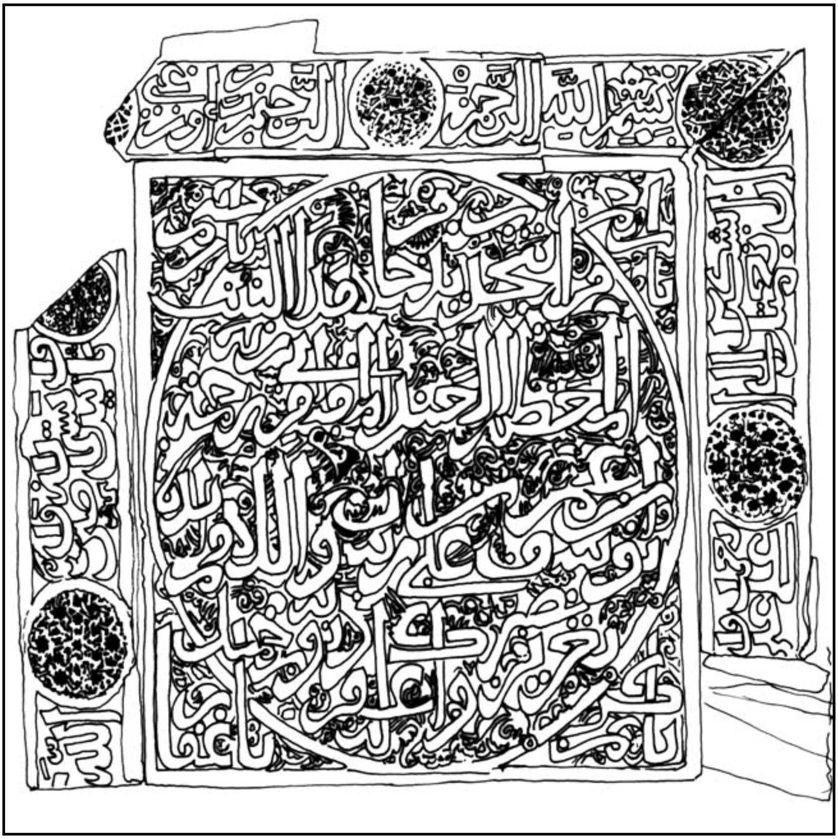

تفريغ النقش

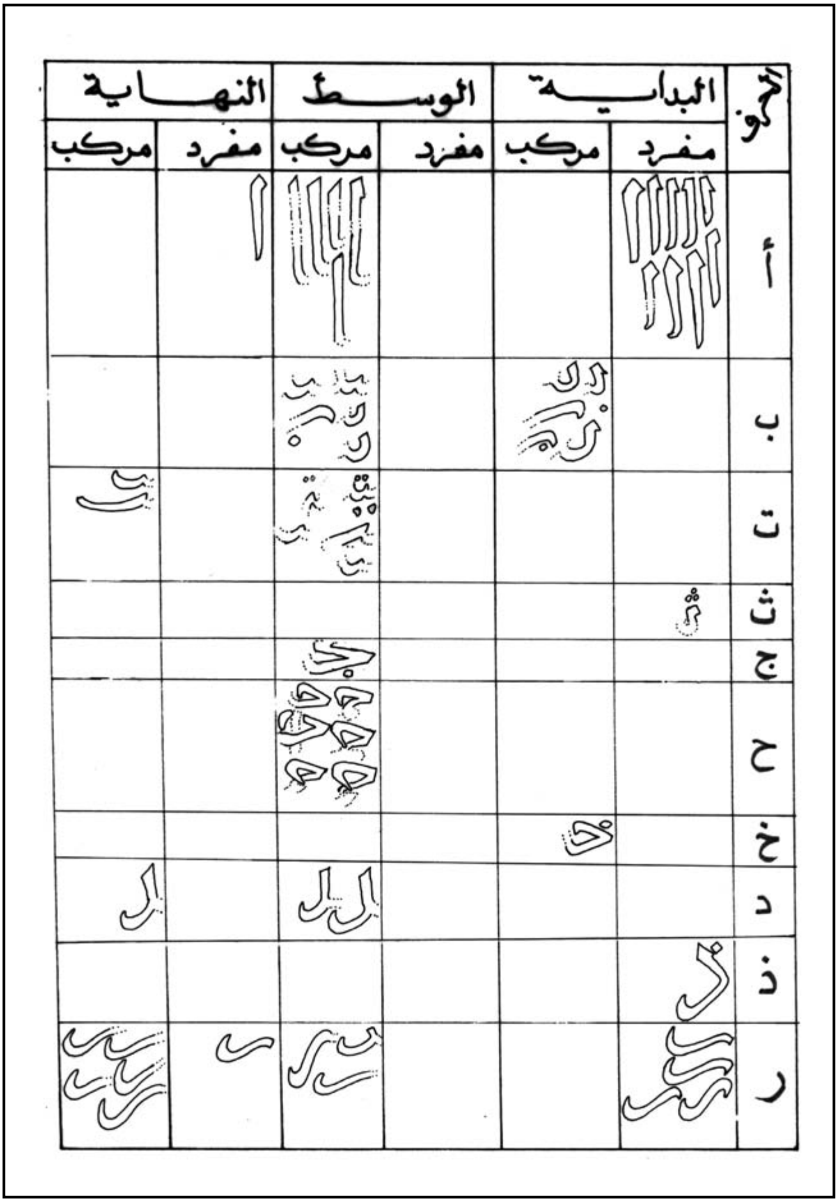
الحروف
البدايـــة
الوســـط
النهـــاية
مفـرد
مركب
مفرد
مركب
مفرد
مركب
أ
ب
ت
ث
ج
ح
خ
د
ذ
ر

جدول أشكال الحروف

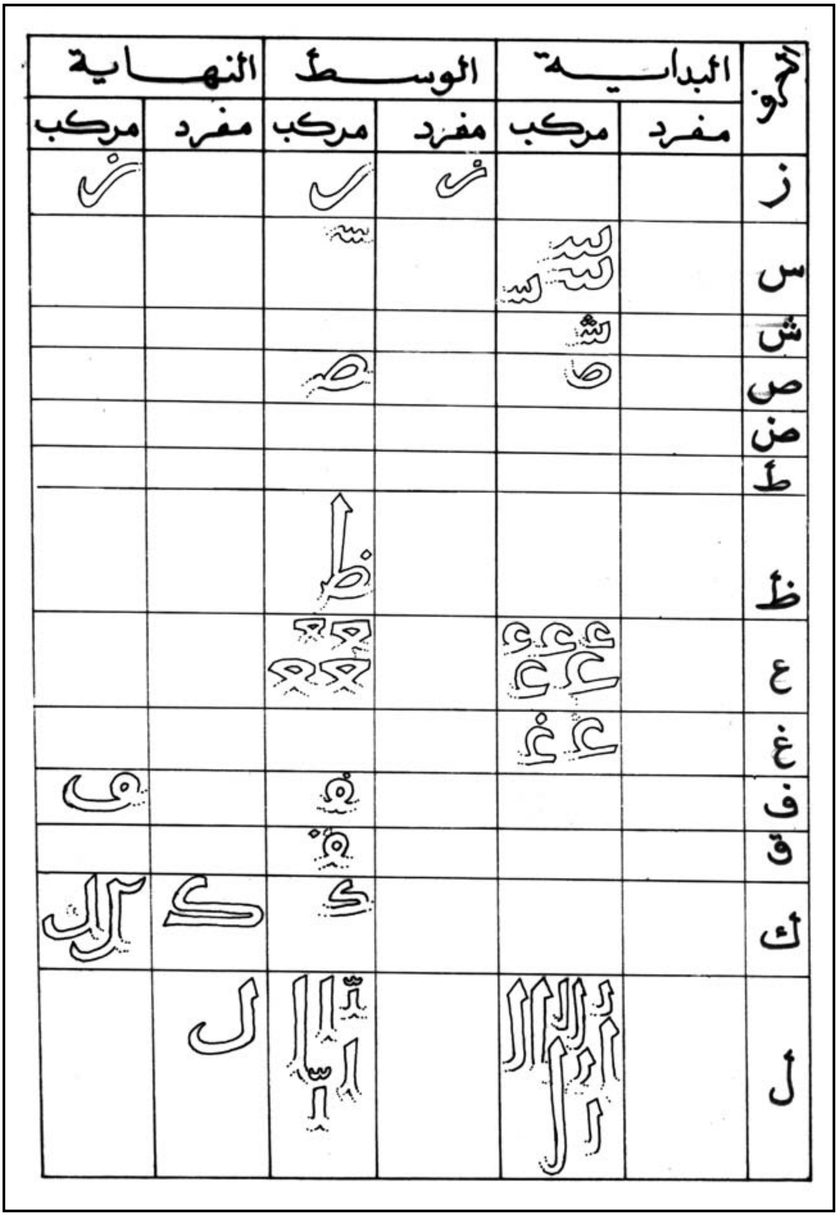

| الحروف | البداية | | الوسط | | النهاية | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | مفرد | مركب | مفرد | مركب | مفرد | مركب |
| ز | | | | | | |
| س | | | | | | |
| ش | | | | | | |
| ص | | | | | | |
| ض | | | | | | |
| ط | | | | | | |
| ظ | | | | | | |
| ع | | | | | | |
| غ | | | | | | |
| ف | | | | | | |
| ق | | | | | | |
| ك | | | | | | |
| ل | | | | | | |

تابع - جدول أشكال الحروف

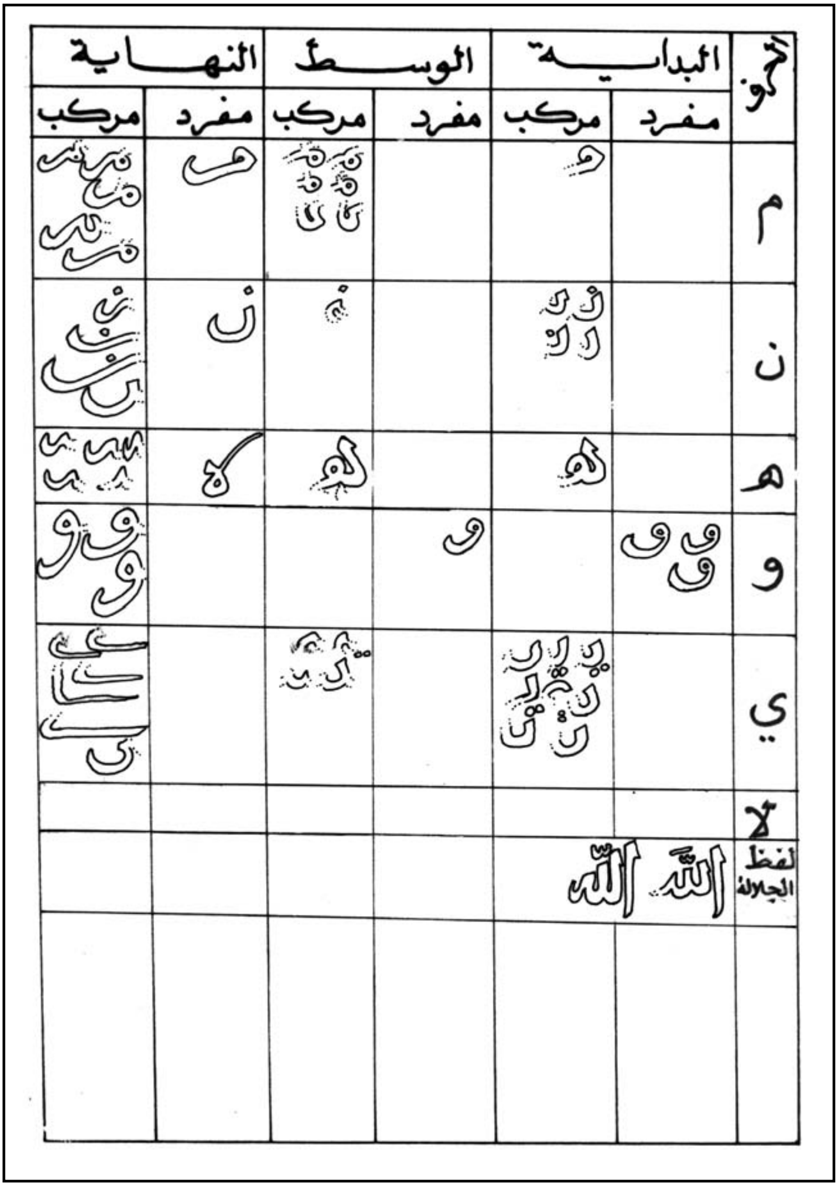
الحروف
البداية
الوسط
النهاية
مفرد
مركب
مفرد
مركب
مفرد
مركب
م
ن
هـ
و
ي
لا
لفظ الجلالة
الله
الله

تابع - جدول أشكال الحروف